(١٥)

مم يتوب الإنسان؟ [١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

المحطات السابقة :

لا زال حديثنا موصولاً عن محطات الطريق إلى الله ، تحدثنا عن محطة الفقه في الدين، محطة العلم والمعرفة، وهي المحطة الأولى في الطريق إلى الله ، وتحدثنا في المحطة الثانية : محطة التوبة إلى الله عز وجل ، تحدثنا عن وجوب التوبة وضرورة التوبة ، وفورية التوبة ، وحقيقة التوبة وأركانها ، كما تحدثنا أن التوبة إنما تكون إلى الله ، ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(النور: ٣١)، التوبة ليست إلى أحد من المخلوقين ، لا إلى عالم ولا إلى كاهن ، وإنما توبتك فيما بينك وبين ربك . التوبة : هي الرجعة إلى الله بعد الشرود ، والتوبة كما أنها إلى الله ؛ هي لله ، يجب أن تكون التوبة لله .

ما هو باعثك الأول على التوبة؟

لماذا تتوب؟ لتغتني من فقر؟ لتصح من سقم؟ لتحقق هدفاً دنيوياً؟ لا . ينبغي أن يكون هدفك ربانيا ، هذا هو باعثك الأول على التوبة (أن تكون التوبة لله) . لا ينبغي أن تكون غايات ولا بواعث مادية ، يجب أن يكون باعثك الأول: ابتغاء مرضاة الله ، الرغبة في مثوبة الله ، الخوف من عقوبة الله . التوبة عبادة ،

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ٢ من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ ، الموافق : ٢١ مايو ٢٠٠٤م .

OBEIKAN.COM

والعبادات يجب أن تخلص لله عز وجل ؛ كما قال عز وجل : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (البينة:٥) .

مم يتوب الإنسان؟

عرفنا فيما سبق إلى من يتوب الإنسان! يتوب إلى الله . ولكن مم يتوب؟ الإنسان يتوب من الخطايا والذنوب ، الإنسان يتوب من خطاياه وذنوبه ، يريد أن يتطهر ، مَن وقع في الذنوب ، كأنما تمرغ في الطين والأوحال ، فهو يريد أن يغتسل من أوساخه ، ويتطهر من أدرانه ، ولا يكون ذلك إلا بالتوبة ، فليحذر الإنسان الذنوب ، فهي السم القاتل ، وهي النار المحرقة ، وهي الخطر المحيط بالإنسان .

الذنوب . . إياك أن تستصغر الذنوب أو تستقلها ، إياك ثم إياك . إن الله عز وجل لم يسامح آدم عليه السلام ، آدم الذي خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، لم يسامحه في لقمة أكلها من شجرة نهي عنها . يقول الشاعر الصالح [1]:

يـــا نـــاظراً يرنـــو بعـــيني راقـــدِ ومشاهداً للأمـــر غـــير مشـــاهد!
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان بها ونيل فوز العابـــد!
أنســـيت أن الله أخـــرج آدمـــا منها إلى الدنيا بـــذنب واحـــد؟!

بذنب واحد خرج آدم من الجنة ، وهبط إلى الأرض ، لم يسامح الله آدم في لقمة ، ولم يسامح نوحاً ـ شيخ المرسلين ، من أولي العزم - لم يسامحه في كلمة حين أراد أن يشفع لابنه الكافر ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ (هود:٤٥) فكان الرد الإلهي الحاسم ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن

---

(١) هو الشاعر : محمود الورّاق .

OBEIKAN.COM

تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (هود:٤٦،٤٧) .

أنواع الذنوب ومراتبها :

احذر الذنوب ، وتفقه في حقيقة الذنوب ، ومراتب الذنوب ، وأنواع الذنوب . الذنوب تتنوع إلى أنواع كثيرة من حيث حقيقتها ، ومن حيث مكانها ، ومن حيث زمانها ، ومن حيث هي ظاهرة أو باطنة ، ومن حيث هي حقوق للناس ، أو حقوق لله ، ومن حيث هي قاصرة أو متعدية ، منتهية أو ممتدة ، ومن حيث هي صغائر أو كبائر . لا بد أن تتفقه في هذه الذنوب ، وتعزم إذا كنت تائباً حقاً وأوابا لله حقاً ؛ تعزم أن تتخلى عن الذنوب كلها ، ولكن لا بد أن تتعلم أيها أشد خطراً ، وأيها أقل خطراً .

ترك المأمور أشد من فعل المحظور :

الذنوب تنقسم إلى أقسام كثيرة؛ فمن الذنوب ما يعتبر من باب ترك المأمور، وما يعتبر من باب فعل المحظور ، وأكثر الناس لا يعرفون إلا أن الذنب هو فعل المحرم ، وينسون أن أهم وأخطر من فعل المحرم : ترك ما أمر الله به ، وما أوجبه الله ، وألزم به عباده . فإنما خلق الله الناس ليعبدوه ، وليقوموا بأمره . فإذا تركوا ما أمروا به ؛ فقد ألغوا مهمتهم ، ونسوا غايتهم الأولى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨) .

كانت معصية آدم فعل محظور ، وكانت معصية إبليس ترك مأمور ، لأن الله لما أمره أن يسجد لآدم ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ (البقرة:٣٤) ، وقال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف:١٢) ، ترك المأمور أخطر من فعل المحظور .

تفاوت المتروك في الخطورة :

وترك المأمور يتفاوت ؛ فترك الفرائض الركنية ؛ أشد وأخطر ممن ترك الواجبات العادية ، ولذلك كان ترك الصلاة ، ومنع الزكاة ، وترك صوم رمضان ، وترك حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، من أخطر الذنوب والمعاصي .

حكم ترك الصلاة :

حتى إن هناك من العلماء من كفّر تارك الصلاة . الجميع يكفرون تارك الصلاة ؛ إذا تركها منكراً لوجوبها وفرضيتها ، أو مستخفاً بمكانتها وحرمتها ، أو مستهزئاً بها كالذين قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (المائدة:٥٨) ، هؤلاء كفار بالإجماع ، أما من تركها تهاوناً وكسلاً ، وانشغالاً بعمل الدنيا ، وحب الدنيا ؛ فهذا الذي اختلف فيه العلماء : أهو كافر أم فاسق؟

والمشهور عن الإمام أحمد ، وعن عدد من علماء السلف : أنه كافر ، خارج من الملة ، ولكن جمهور الأئمة يقولون : إنه فاسق ، وهل كلمة فاسق هذه هينة ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ (السجدة:١٨) ، ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ (الحجرات:١١) ، فاسق ، ما عقوبته؟ الإمام مالك والإمام الشافعي يقولان : عقوبته أن يقتل . والإمام أبو حنيفة يقول : عقوبته أن يحبس ، ويضرب ضرباً شديداً ؛ حتى يسيل منه الدم إلى أن يصلي ، أو يعد بالصلاة.[1]

ترك الصلاة من الكبائر ؛ ولذلك القرآن اعتبر أن التثاقل عن الصلاة من صفات المنافقين الذين وصفهم بأنهم ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء:١٤٢) ،

---

(١) لنا فتوى نتحدث فيها بالتفصيل عن حكم تارك الصلاة وأقوال العلماء فيه ، راجع فتاوى معاصرة (١/٢٠٥ وما بعدها) .

OBEIKAN.COM

واعتبر تأخير الصلاة والسهو عنها حتى يفوت وقتها من أسباب الويل والعذاب ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (الماعون:٤،٥) ، أي يسهون ويتشاغلون عنها ، حتى يمضي وقتها .

أيها الإخوة : ترك الصلاة ـ ومثله : منع الزكاة ، وهي قنطرة الإسلام ـ الصلاة عمود الدين ، والزكاة قنطرة الإسلام ـ وترك صيام رمضان ، وترك حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، هذا الترك من أعظم الكبائر ، وأخطر الخطايا ، فلا بد للإنسان الذي يريد الرجعة إلى الله ، والتوبة إلى الله ، أن يحذر من ترك ما أمر الله عز وجل ، أخطر المعاصي تعتبر من باب ترك المأمور .

عقوق الوالدين ما هو؟ هو عبارة عن ترك ما أمر الله به من بر للوالدين .

قطيعة الأرحام ما هي؟ هي ترك ما أمر الله به من صلة الأرحام والإحسان بذوي القربى .

المعاصي : ترك مأمور أو فعل محظور . فعل المحظورات ارتكاب ما نهى الله تعالى عنه ، وقد بين لنا الشارع الحكيم ما حرمه علينا وقال النبي ﷺ : « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن وقع فيه[1] » .

هكذا أيها الإخوة الحلال بيَّنه الله لنا ، والحرام بينه الله لنا ، ومن نعمة الله علينا : أن الحلال لا يحصر . كل ما خلق الله حلال ، ولكن الحرام هو المحدود والمعدود . يمكن أن نعد المحرمات ، ولكن لا يمكن أن نعد الحلال ؛ لأن الأصل في الأشياء والتصرفات الحلّ ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (البقرة:٢٩)[2] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الإيمان (٥٢) ومسلم في المساقاة (١٥٩٩) وأحمد في المسند (١٨٣٦٨) وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٤) وأبو داود في البيوع والإجارات (٣٣٢٩) والترمذي في البيوع (١٢٠٥) والنسائي في البيوع (٤٤٥٣) عن النعمان بن بشير.

(٢) للمزيد راجع ما ذكره الشيخ في كتابه (الحلال والحرام) تحت عنوان : (الأصل في الأشياء الإباحة).

الخطايا الظاهرة والباطنة :

تنقسم الذنوب والخطايا إلى فعل محظور وترك مأمور ، وتنقسم الذنوب والخطايا أيضاً إلى خطايا ظاهرة وخطايا باطنة ، إلى معاصي جوارح ومعاصي قلوب .

١- خطايا الجوارح :

وأكثر الناس يهتم بالمعاصي الظاهرة ، بمعاصي البدن والجوارح ، ولا يلتفت إلى معاصي القلوب ، وخطايا القلوب ، وهي الأشد خطراً ، والأبعد أثرا . خطايا الجوارح ما نؤديه بجوارحنا .

خطايا العين : أن تنظر إلى العورات ، أو تنظر بشهوة إلى امرأة لا تحل لك .

خطايا الأذن : أن تستمع إلى ما حرم الله مما لا يجوز أن يسمع من الغيبة ، أو النميمة ، أو الأغاني الخليعة ، أو غير ذلك .

خطايا اللسان : أن تتكلم بما يغضب الله من الكذب ، والنميمة ، والغيبة ، والسخرية بخلق الله ، وهذه الأشياء الكثيرة ، التي أوصلها الإمام الغزالي إلى عشرين آفة .

خطايا اليد : أن تمد يديك لتأخذ ما ليس لك ، أو تضرب إنساناً بغير حق ، أو تعتدي على غيرك .

خطايا الرجل : أن تمشي إلى معصية ، الله أو تسافر إلى معصية الله .

خطايا البطن والفرج ، أن تأكل ما لا يحل لك ، تأكل مما حرم الله ، أو تشرب الخمر ، أو تدخل بطنك لقمة لا تحل لك ، فتنبت من جسدك قليلاً أو كثيراً ، و « كل لحم نبت من سُحت فالنار أولى به[1] » .

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه كتاب الأطعمة (١٤١/٤) وسكت عنه هو والذهبي ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١/١) والبيهقي في الشعب (٥٦/٥) ، عن أبي بكر. وهو في المسند عند أحمد بلفظ : « أنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت» رواه أحمد (١٤٤٤١) عن جابر بن عبد الله ، وقال مخرّجوه : إسناده قوي على شرط مسلم رجاله ثقات غير ابن خيثم ـ وهو عبد الله بن عثمان ـ فصدوق لا بأس به.

OBEIKAN.COM

خطايا شهوة الفرج أن تشتهي ما لا يحل لك ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ (المؤمنون:٥-٦) ، الزنى ، وفعل الفاحشة : اللواط ، والشذوذ الجنسي .

كل هذه معاصي الجوارح .

٢- خطايا القلوب :

وهناك المعاصي الأخرى ؛ التي تودي بالقلب ، وهي المعاصي الخطيرة : الكبر ، الحقد ، الحسد ، الغرور ، الإعجاب بالنفس ، الاحتقار للغير ، العداوة والبغضاء ، الرياء ، حب الدنيا ، حب المال . كل هذه من أعمال القلوب المهلكة .

النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « بحسب امرئ من الشر ؛ أن يحقر أخاه المسلم[١] » تنظر إليه باحتقار ، هذه معصية من معاصي القلوب ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر[٢] » لا يدخل الجنة ؛ لأن الجنة لا يدخلها إلا الطيبون ، وهذا الخبيث خبثت نفسه بالكبر ، نازع الله في ردائه ؛ رداء الكبرياء ، وأراد أن يتأله على خلق الله .

الرياء ، إذا أدى الإنسان صلاة ، أو صياما ، أو عتقاً ، أو غير ذلك من الصالحات ، ولم يكن يريد بها وجه الله ؛ إنما يريد أن يراه الناس ، ويقولوا عنه : إنه من الصالحين . هنالك أحبط عمله ، هنالك يقول الله له : ليس عندي لك أجر ، فإنك لم تعمل لي ، عملت للناس ، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له[٣].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) عن أبي هريرة ، وأحمد في المسند (٧٧٢٧) وابن ماجه في الزهد (٤٢١٣) .

(٢) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود ، وقد سبق تخريجه .

(٣) يشير الشيخ إلى حديث أبي هريرة : : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٥) .

OBEIKAN.COM

هذه أعمال القلوب ومعاصي القلوب التي تعشش في صدور الناس ، ولا يهتم الناس بها ، قد ترى الإنسان مصلياً وصائماً وحاجاً ومعتمراً كل رمضان ، ولكنه يمشي بين الناس وقلبه مشحون بخطايا القلوب ؛ بالغرور بالعجب بالرياء بالكبر باحتقار خلق الله . . . . . هذا هو الخطر الأكبر .

خطايا القلوب أشد خطرا لأسباب ثلاثة :

معاصي القلوب أيها الإخوة أشد خطراً من معاصي الجوارح والأبدان ، لماذا؟

السبب الأول :

لأن القلب هو حقيقة الإنسان ، الإنسان ليس هو هذا الغلاف الطيني ، حقيقة الإنسان هو كيانه الروحي ، الذي لا تراه العين ، وإنما هو شيء يعرفه أولوا البصائر ، لا أولوا الأبصار . حقيقة الإنسان هو هذا القلب ، أو هذه النفس الإنسانية ، أو هذا الفؤاد ـ سمه ما تسمه ـ هو الذي جاء فيه الحديث : « ألا إن في الجسد مضغة ؛ إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا : وهي القلب[1] » ويقول النبي ﷺ « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[2] » ويقول القرآن على لسان سيدنا إبراهيم في دعائه ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٨٧-٨٩) .

ما هو القلب السليم ؟

القلب السليم هو : القلب السليم من الشرك ، والقلب السليم من النفاق ، والقلب السليم من الأمراض الخطيرة : من الكبر ، والحسد ، والرياء ، والعجب ،

---

(١) جزء من حديث النعمان بن بشير :« الحلال بين...» وسبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) عن أبي هريرة ، وفي رواية (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم).

OBEIKAN.COM

والغـرور ، هذا القلب السليم هو الناجي يوم القيامة ، ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٨٩) ، لا ينفعك مال ولا ينفعك بنون ؛ ولكن تنفعك هذه العدة ، قلبك السليم ، فاحذر على قلبك ، وتحر دائماً أن تفتش عن هذا القلب ، وتعرف ما أصابه ليبقى طاهرا غير ملوث ، مستقيما غير منحرف ، هذا هو الأمر الأول في خطورة الأعمال الباطنة ، معاصي القلوب .

السبب الثاني :

والأمر الثاني : أن كل المعاصي الظاهرة ، وراءها مُحَرِّك من أعمال القلوب ؛ كما أن الطاعات لا تقبل إلا بعمل قلبي ؛ هو النية الخالصة ، فإن وراء المعاصي محركاً قلبياً ، الذي يغتاب الناس ، أو يَنِـمْ عليهـم ، أو يحتقرهـم ، أو يسخر منهم ، أو يسبهم ؛ وراء ذلك محركات من بواعث النفس ، واتباع الهوى . هذه هي الخطيرة التي سماها الإمام الغزالي في إحيائه : المهلكات ، أخذ هذا من الحديث الشريف « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[1].

كل هذه من معاصي القلوب الخطيرة ، الذي يدفع كثيراً من الناس إلى المعاصي الظاهرة ، معاصي قلبية ، حسد ، كبر ، غرور .

الاستكبار على الناس ؛ يتحدث عنهم يغتابهم ، يتكلم عنهم كأنما هم ليسوا بشرا ، كأنه من مسك وهم من طين ، أو كأنه خلق من ذهب وهم خلقوا من تراب! الكبر . . . وهكذا كثير من المعاصي ما يكون وراءها محركات نفسية من معاصي القلوب .

---

(١) جزء من حديث أنس ، وبقيته : « وثلاث منجيات : العدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفاقة ، ومخافة الله في السر والعلانية » رواه الطبراني في الأوسط (٣٢٨/٥) وقال : لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا حميد بن الحكم تفرد به إبراهيم بن محمد بن عرعر ، ورواه البيهقي في الشعب (٤٧١/١) وأبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٩) وراوه الطبراني في الأوسط أيضا عن ابن عمر (٤٧/٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٤٥).

السبب الثالث :

وهناك أمر ثالث : أن المعاصي الظاهرة سُرْعَان ما يتوب الإنسان منها ، لأنها واضحة له . أما معاصي القلوب فكثيراً ما لا تبين لأصحابها ، ولا تنكشف لهم بوضوح ، فيستمرون في غلوائهم ، ويستمرئون ذنوبهم الباطنة ، ولا يستجيبون لقول الله تعالى : ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٠) .

ولهذا نرى كثيراً ممن يبتلون بالمعاصي الظاهرة يتوبون منها ، أما الذين يبتلون بالمعاصي الباطنة فقلما يتوبون منها ، وهكذا رأينا آدم عليه السلام الذي ارتكب معصية ظاهرة ؛ بالأكل من الشجرة ، سرعان ما قرع باب ربه تائباً وقال ـ هو وزوجه :﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (الأعراف:٢٣) . وسرعان ما جاءه الرد الإلهي ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:٣٧).

أما إبليس الذي كان وراء معصيته الحسد والكبر ، حسد آدم على ما آتاه الله من فضله ، فأبى أن يسجد له ، واستكبر وتمرد على ربه ، هذا إبليس ظل في سوئه ومعصيته ، وقلة أدبه مع ربه ، وتحدى الألوهية ، وقال لربه حينما سأله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ (ص:٧٥) قال بكل كبر : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (ص:٧٦) فكان الرد الحاسم : ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (ص:٧٧،٧٨) ولذلك إذا كانت عاقبة آدم ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة:٣٧) فإن عاقبة إبليس ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (ص:٧٧،٧٨) .

علينا أيها الإخوة أن نتطهر من الذنوب كلها ، ظاهرها وباطنها ، ما كان منها من ذنوب الجوارح ، وما كان منها من ذنوب القلوب ، على أن نتفطن ونتنبه دائماً أن معاصي القلوب هي الأشد خطراً ، والأبعد أثرا .

المعاصي كالطاعات : منها القاصر والمتعدي :

والمعاصي ـ أيها الإخوة ـ تنقسم إلى نوعين : نوع قاصر ، ونوع متعدي .

هناك معاصي قاصرة على أصحابها . مثل الطاعات . هناك طاعة يفعلها الإنسان لنفسه ؛ يسبح الله ، ويحمده ، ويكبره ، ويستغفره ، ويتلو كتابه ، ويقيم صلاته ، ويتابع صيامه . هذه طاعة قاصرة .

وهناك طاعة متعدية ؛ كأن تفعل الخير ، وتنفق مالك في سبيل الله ، وتؤدي خدمات للناس ؛ تغيث الملهوف ، تمسح دمعة المحزون ، تفرج كربة المكروب ، تعين على خير .

كذلك المعاصي ؛ هناك معاصي قاصرة ، كأن يشرب الإنسان خمراً إذا كان ماله يحتمل هذا ؛ ولا يتسبب ذلك في ضياع حق لأولاده ، أو لأسرته . هناك من يرتكب أشياء ؛ آذى نفسه ، آذى حيواناً ، هذه كلها من حقوق الله عز وجل لم تتعلق بحق مخلوق ، والتوبة من هذه سهلة .

حقوق الله مبنية على المسامحة ، وحقوق العباد مبنية على المشاححة :

نعم أيها الإخوة : التوبة من هذه المعاصي سهلة . لأنك تتوب فيما بينك وبين الله تعالى ، فيقبل توبتك .

المشكلة فيما كان بينك وبين عباد الله ، بين إخوانك من البشر ، هؤلاء ليس من السهل أن يتنازلوا عن حقوقهم . لذلك قال العلماء : حقوق الله مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاححة ، كل إنسان شحيح بحقه ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾ (الإسراء:١٠٠) ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ (النساء:١٢٨) الإنسان ـ وخصوصاً يوم القيامة ـ لا يتنازل لأحد عن حسنة واحدة ؛ ولا لأمه ، وأبيه ، ولا لصاحبته وبنيه ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس:٣٧) ، ﴿ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (لقمان:٣٣)،

يوم الأنانية والفردية المطلقة ؛ لأن كل إنسان يقول : نفسي نفسي ، ربما نقص ميزان حسناتي حسنة واحدة ، فمن أين آتي بها؟ لا يستطيع أحد أن يسلفك حسنة ، ولذلك كل إنسان حريص على ما عنده .

ومن هنا كانت أهمية حقوق العباد ، إياك وحقوق العباد ، أن تعتدي عليهم في نفس أو مال ، أن تعتدي عليهم بلسان أو يد ، ولو كانت كلمة صغيرة ، رأينا أن النبي ﷺ حينما قالت عائشة عن ضرتها صفية بنت حيي : ما يعجبك منها يا رسول الله وإنها . . . . ولم تكمل الجملة ، ولكن أشارت بيديها إلى أنها قصيرة القامة . فماذا قال النبي ﷺ؟! قال : « يا عائشة لقد قلت كلمة! لو مزجت بماء البحر لمزجته[1] ». كلمة تعكر بحراً ، وهي نصف جملة مكملة بالإشارة .

كم منا يتكلم بمئات الكلمات ، وآلاف الكلمات كل يوم ، ويدع لسانه كالمنشار ؛ (يقطع وهو طالع ، ويقطع وهو نازل) يتكلم عن الناس ولا يبالي ، ولا يعرف أن هذا اسمه في الشرع الغيبة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره » - سواء كان هذا في جسمه ، في ملبسه ، في مأكله ، في شيء يخصه ، بحيث إذا سمعه يستاء منه ويكرهه ـ قالوا : يا رسول الله ، أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ ـ أنا أقول : هو أعور وهو أعور ، قصير وهو قصير ، جاهل وهو جاهل ـ قال : « إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته » ـ تكلمت بما يسوءه همزته ولمزته ـ « وإن لم يكن في أخيك ما تقول فقد بهته »[2] ارتكبت عليه بهتانا ، قد بهته ، انظروا . .

ومن المعروف أن السامع شريك المغتاب ، قد لا تكون أنت المغتاب ، ولكنك تجلس في مجلس جعلوا الغيبة فاكهتهم ، الحديث عن فلانة وفلان ، هذه فاكهة المجالس ، السامع فيها شريك المغتاب :

---

(١) رواه أبو داود والترمذي ، وقد سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٩) وأبو داود في الأدب (٤٨٧٤) والترمذي في البر والصلة (١٩٣٤) والنسائي في « السنن الكبرى » التفسير (١١٤٥٤) عن أبي هريرة ، وفي الباب أيضا عن أبي برزة ، وابن عمر ، وعبد الله بن عمرو .

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

يا أيها الإخوة : حقوق العباد التي تتعلق بالعرض ، بالكرامة . . . إذا مسست كرامة إنسان ، أو تكلمت عنه بسوء ، أو بمجرد سوء الظن ، لم تتحقق من الواقعة ، ولكن بما تزعم لنفسك من ذكاء ، وما تدعيه من أنك سيد العارفين ، وأنك وأنك . . . تتهم الناس بغير بينة ، والله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات:١٢) ، وهذه أشياء يترتب بعضها على بعض ، الإنسان يسيء الظن بالآخرين ، فيتجسس عليهم ، ثم يترتب على ذلك أن يغتابهم ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه .

حقوق العباد أيها الإخوة ؛ وخصوصاً الحقوق المالية ، التوبة مما بينك وبين الله سهلة ، إذا صح ندمك ، وصدق عزمك ، ولكن الخطر ؛ كل الخطر ، فيما بينك وبين عباد الله ، فيما لهم من حقوق وحرمات ، إنها مصونة في شرع الله . ماذا تفعل إذا أردت التوبة وللناس عندك حقوق كثيرة؟ آذيتهم بلسانك ، وآذيتهم بيديك ، وآذيتهم بأخذ أموالهم ، وأكل حقوقهم ، دون أن تردها . ماذا تفعل في هذا كله؟

ما أخيب هذا الإنسان!

إن النبي ﷺ يحثنا على أن نتحرر من هذه الأوزار قبل يوم القيامة قال « إذا كان لأحدكم عند أخيه مظلمة ؛ فليتحلل منها ، قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار »[1] وإنما يتعامل الناس بالحسنات والسيئات . العملة الوحيدة يوم

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة ، ونصه : قال رسول الله ﷺ :« من كانت له مظلمة لأحد من عرضه، أو شيء ؛ فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٩) .

القيامة هي : الحسنات والسيئات ، ليس عند أحد لا ريالات ، ولا جنيهات ، ولا دولارات ، إنما يتعامل الناس بالحسنات والسيئات ، فمن كان له حق على أحد يأخذ من حسناته حتى يستوفي ؛ فإذا لم تكف حسناته ، وبقي له حق ، يطرح من سيئاتهم عليه ، حتى يردى في النار ، وبئس القرار .

وهذا هو الذي سماه النبي ﷺ : المفلس «أتدرون من المفلس؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع . قال : المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة ، وصيام ، وزكاة ، وحج . ولكنه ضرب هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته حتى لا يبقى له شيء ، ثم يطرحون من سيئاتهم عليه ، حتى يلقى في النار[1]» .

كان لهذا الرجل رصيد كبير من الطاعات والحسنات ، ضاع هذا الرصيد كله ، وبقي صفراً ، وليته بقي عند الصفر ؛ أصبح دون الصفر ، لأنه بعد أن انتهت حسناته ، أضافوا من سيئاتهم عليه .

ما أخيب هذا الإنسان ؛ ما أحمقه ، ما أضل سعيه! تعمل الحسنات ، وتضيعها بجنايتك على حقوق الناس ، حتى إن النبي ﷺ يقول :« يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»[2] . إذا كان على الشهيد دين لأحد ؛ فإن الشهادة تطهره من كل شيء إلا الدين ، لأنه حق يتعلق بالبشر ، لذا قال رسول الله صلى عليه وسلم حين سئل : أرأيت إن قتلت في سبيل الله ؛ تكفر عني خطاياي؟ قال :« نعم تكفر عنك خطاياك» . ثم ولّى الرجل ، ومشى خطوات . فاستدعاه النبي ﷺ وقال :« عد ، ماذا قلت آنفاً؟» قال : قلتُ : لك كذا وكذا يا رسول الله . وقلتَ

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٨١) وأحمد في المسند (٨٠٢٩) والترمذي في صفة القيامة (٢٤١٨) وابن حبان في صحيحه كتاب الحدود (٤٤١١) عن أبي هريرة .

(٢) مسلم في الإمارة برقم (١٨٨٦) وأحمد في المسند (٧٠٥١) والحاكم في مستدركه كتاب الجهاد (١٢٩/٢) عن عبد الله بن عمرو.

تكفر عني خطاياي . قال : « تكفر عنك خطاياك ، إلا الدّين ، أخبرني جبريل بذلك »[1] ، يعني جبريل عليه السلام نزل يصحح للنبي الفتوى التي أفتى بها هذا الرجل : أن الشهادة في سبيل الله وهي أعلى ما يتمناه الإنسان . الشهادة في سبيل الله تكفر كل الخطايا صغائر وكبائر ؛ إلا ديون العباد .

جاء في الحديث أن النبي ﷺ كان مع أصحابه يوماً ، فقال : سبحان الله! سبحان الله! ماذا أنزل من التشديد؟ فسألوه بعد ذلك يا رسول الله! لماذا قلت : ماذا أنزل الله من التشديد ، في أي شيء؟ قال : التشديد في الدين ؛ فوالذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ، ثم أحيي ، ثم قتل في سبيل الله ، ثم أحيي ، ثم قتل في سبيل الله ، لن يدخل الجنة حتى يقضي دينه »[2] .

انظر إلى أي حد ، حتى لو قتل في سبيل الله مرات . هذا يدل على أهمية حقوق العباد وخطرها .

معنى « تستحلهم » :

فيا أخي المسلم انظر في أمرك ، انظر في حساباتك ، في سجلاتك ، ماذا عليك من حقوق للعباد؟ هذه الحقوق هل يمكن أن تستحل أصحابها؟

---

(١) الحديث عند مسلم عن أبي قتادة بلفظ : أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر لهم :« أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله : أفضل الأعمال » فقام رجل فقال : يا رسول الله! أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ :« نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر » ثم قال رسول الله ﷺ :« كيف قلت؟ » قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ :« نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك » رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٥) وأحمد في المسند (٨٠٧٥) والترمذي في الجهاد (١٧١٢) والنسائي في الجهاد (٣١٥٦) وعند أحمد :« فإن جبريل سارني بذلك ».

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٢٤٩٣) وقال مخرّجوه : ضعيف بهذه السياقة ، ورواه النسائي في « السنن الكبرى » كتاب البيوع (٦٢٣٧) وفي « المجتبى » كتاب البيوع (٤٦٨٤) والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٤٨) والحاكم في مستدركه كتاب البيوع (٢/ ٢٩) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الكبرى كتاب البيوع (٥/ ٣٥٥) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٠٤) .

OBEIKAN.COM

معنى تستحلهم : أي تطلب منهم أن يحلوك منها ، أن يسامحوك ، وأجرهم على الله عز وجل ، وكثير من الناس سيقول : سامحناك ابتغاء ما عند الله عز وجل ، إذا استطعت ذلك فافعل ، فإن لم تستطع فحاول أن ترد هذه الحقوق .

يأكلون في بطونهم نارا :

إياك أن تكون ظلمت أجيراً ، ظلمت عاملاً عندك ، أخذت ما ليس لك ، أما الذين ينهبون أموال الناس بالباطل باسم العمولات ، والهدايا ، ويأكلون الملايين ، ويبنون القصور ؛ فهؤلاء لهم أمر آخر ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء:١٠) ، حاول أن لا يدخل جيبك إلا درهم حلال ، وأن لا يدخل بطنك إلا لقمة حلال . الحلال هو سبيلك إلى الجنة ، والحرام هو سبيلك إلى النار .

فيا أيها الإخوة المؤمنون : تفقهوا في أمر الذنوب والخطايا ، لا تتركوا الأمر على عواهنه . الأمر يحتاج منا إلى بصيرة ويقظة . لا تعتبر هذا أمراً هيناً ، يصبح الصباح عليك كل يوم فتهتم بأمر دنياك ، وماذا ستكسب وماذا ستخسر؟ وماذا ستأكل؟ وماذا ستشرب؟ وماذا ستلبس؟ وستقابل فلاناً وستقابل علاناً .

تهتم بأمر دنياك ، ولا تهتم بأمر آخرتك! ولا تدري هل تبقى إلى المساء أو لا تبقى؟ هل يصبح عليك صباح اليوم التالي أو لا يصبح؟ فبادر بالتوبة . التوبة الحقيقية التي تغتسل منها من ذنوبك ، وتتطهر من خطاياك ، وتلقى الله تعالى مفلحاً كما قال عز وجل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٣١) .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

عصر المآسي :

لا زلنا نعيش في عصر المآسي ، مآسي المسلمين . ولكل أمة عصر ، وهذا ليس عصر الأمة الإسلامية ، هذا هو عصر المظالم والمآسي على الأمة الإسلامية ، العصر الذي استأسد فيه علينا من استأسد ، وتعزز علينا من تعزز ، تجرأ علينا الجبان ، وتعزز علينا الذليل . أصبحنا نواجه كل يوم مأساة بعد مأساة ، وكارثة بعد كارثة ، لا نكاد نشيع الشهداء ؛ إلا استقبلنا شهداء آخرين ، بالعشرات في فلسطين الحبيبة العزيزة ، وفي رفح الغالية ، وفي العراق ؛ في بغداد ، في كربلاء ، في الفلوجة ، أربعون قتيلاً في مدينة القائم ، قتلوا وهم يقيمون عرساً . تحول العرس إلى مأتم ، وزعم الأمريكان أنهم لم يكونوا في عرس ، والناس يشهدون أن العرس كان قائماً ، قالوا : إنهم متسللون جاءوا من الخارج ، وقد عرفنا الكذب عند هؤلاء ، إنهم يواجهون مأساة في العراق .

أبو زيد « الأمريكاني » يعترف :

العراق الذي استبسل في مقاومتهم ، وشهد جنرالهم : أبو زيد الأمريكاني وليس أبو زيد الهلالي ، قال أمام الكونجرس : إن القوة العالمية العظمى تواجه معركة صعبة ومريرة ؛ ضد عدو صبور ومقيت .

هكذا اعترف هذا الجنرال : أنهم يواجهون معركة صعبة ومرة ، أمام عدو مرابط مصابر صبور . وستزداد المعركة ضدهم يوماً بعد يوم ، ولذلك يشفون غليلهم في مثل هذا ؛ في ضرب هؤلاء المدنيين الذين يقيمون الأعراس .

دم المسلم بثلاثمائة دينار!

يفعلون هذا في العراق ، كما ضربوا قبل ذلك في أفغانستان ، وعوضوا المقتولين في العرس كل واحد بثلاثمائة دينار ، كأنه خروف أو أرنب أو دجاجة ، ثلاثمائة دينار .

هؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الذين ارتكبوا الفضائح ؛ التي هزت ضمير العالم كله ، الفضائح التي يَنْدَى لها جبين أي إنسان عنده ذرة من حياء ، أو مِسكة من ضمير . هؤلاء الذين حاكموا أحدهم فحكموا عليه باثني عشر شهراً[1] ، كأنه ارتكب مخالفة مرور ، أو جنحة بسيطة .

هذه الفضائح التي رأيناها ولم نستطع أن نمعن النظر فيها ؛ لأنها مناظر تقزز الأنفس ، يخجل منها الكريم ، هذه المناظر التي رأينا ليست هي كل ما حدث ، فليس كل ما حدث صوّر ، وليس كل ما صوّر نشر . يحكمون في محكمتهم باثني عشر شهراً على جندي ، المسألة ليست مسألة جندي انحرف . إن الجندي إنما يفعل بأمر قادته ، ولو لم يعلم أنه بهذا يرضي قادته ما فعل هذا .

هل يكون الخصم حكماً؟

إن انتشار هذا بهذه الصورة المزرية ؛ يدل على أن الأمر مخطط ، ولكن الله كشف سترهم ، وفضح أمرهم ، هؤلاء يحكمون كما حكمت محكمة إسرائيلية من قبل ، حكمت لصالح شارون وعصابته : أن لهم الحق أن يدمروا المنازل في رفح . وماذا ننتظر من محكمة إسرائيلية ،؟! وكيف نلجأ إلى محكمة إسرائيلية؟! هل يلجأ الإنسان إلى خصمه؟ هل يكون الخصم حكماً؟ هل يكون الذئب راعياً للشاة؟ هذا مستحيل . هؤلاء لا ينتظر منهم إذا حكموا إلا أن يظلموا ، والآن يحاكم مروان البرغوثي[2] ، فبماذا سيحكمون عليه ، وهو يدافع عن وطنه ، يدافع عن حرماته ، يدافع عن مقدساته؟

---

(١) يشير فضيلة الشيخ إلى حادثة التعذيب الشهيرة التي تمت في سجن أبي غريب ، والتي انتهكت فيها كل الحقوق والحرمات ، من سب وضرب ، وتحرش واغتصاب ، وذبح وقتل ، واكتفت الحكومة الأمريكية بالحكم على الجندية الأمريكية بعام كما ذكر فضيلة الشيخ .

(٢) تم الحكم في ٦/٧/ ٢٠٠٤م ، على مروان البرغوثي بالحكم المؤبد خمس مرات .

OBEIKAN.COM

بلغ الصهاينة المدى :

إن العصابة الصهيونية قد تجاوزت كل حد في عدوانها على فلسطين ، وعلى قطاع غزة ، وعلى رفح خاصة ، تجاوزت كل حد في سفك الدماء ، وإزهاق الأرواح ، وهدم المنازل بالعشرات . حتى إن أمريكا الحليف والشريك الاستراتيجي ؛ خرجت عن خطها الأبدي هذه المرة ، ولم يستخدم حق الفيتو في مجلس الأمن ، فأصدر مجلس الأمن قراراً يدين فيه إسرائيل .

لقد تجاوزت الدولة الصهيونية الطاغية حدها ، قتلت وذبحت ودمرت ؛ بزعم أن هناك أنفاقاً ما بين رفح المصرية ورفح الإسرائيلية ، وقد ظلوا زمناً ولم نر لهذا النفق أثراً ، ولم نسمع له خبراً ، لم يرونا في صورة واحدة أنهم اكتشفوا نفقاً من الأنفاق ، إنها أكذوبة كأكذوبة أسلحة الدمار في العراق . إنهم يختلقون أسباباً ، فإذا لم يجدوا سبباً ؛ فعلوا ما يريدون .

لمثل هذا يذوب القلب من كمد :

إنها القوة الغاشمة الظالمة الطاغية ، هذا ما تفعله دولة البطش والإرهاب والظلم والطغيان ، دولة بني إسرائيل ، ما تفعله في فلسطين ، وفي غزة ، وفي رفح خاصة ، إن عيني لتبكي وإن قلبي ليدمى ؛ مما أرى كل يوم من هذه المآسي المتكررة .

أرى إخواني وأخواتي ، أرى أبنائي وبناتي ؛ في رفح حينما تدمر منازلهم ، بما فيها من أثاث ومتاع ، وكل أسباب الحياة ، ثم يجرون مذعورين ؛ حتى لا تهدم هذه المنازل فوق رؤوسهم ، وقد تركوا كل شيء وراءهم ، وبقوا في العراء ، يفترشون الأرض ، ويلتحفون السماء ، كنا نقول ذلك في مواضيع الإنشاء قديماً . هذه هي الحقيقة ، لا يجدون إلا الأرض فراشاً ، والسماء لحافاً .

هل نسكت على هذا الضيم؟

هل نجد أحداً يحمَى لنا ويتحمس ويغار؟

هل نجد من يقول : أدافع عن هؤلاء؟

ومَنْ؟ العرب؟! زعماء العرب؟! قادة العرب؟!

حكام العرب الذين سيجتمعون غداً في تونس ؛ هل هؤلاء الذين سيحمون فلسطين ويحمون رفح؟! إننا لم نر أحداً احتج بقوة ، لم نجد من صرخ في وجه إسرائيل ، بل رأينا الصمت ، رأينا الشياطين الخرس ، رأيناهم في صمت القبور الوحشة ، هذا ما رأيناه عند العرب للأسف ، ولا ندري ماذا سيفعلون غداً في قمتهم؟

هل ستكون مثل القمم الأخرى؟ أم سيقولون شيئاً جديداً؟

أغلب الظن أن العهد بهم هو هو .

هل يحيون من موات؟ هل يجتمعون من فرقة؟ هل يستيقظون من نومة أهل الكهف؟ هيهات هيهات .

قدموا أرواحهم فلنقدم أموالنا :

إننا ندعو الإخوة المؤمنين في كل مكان ؛ أن يمدوا يد العون لإخوانهم في رفح ، لا يجوز أن يظل هؤلاء في العراء ولا مأوى لهم ، لا بد أن نسعفهم ، أن نغيث لهفتهم ، أن نفرج كربتهم ، ألسنا أمة واحدة « يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم »[1]؟

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو : قال رسول الله ﷺ :« المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم» رواه أحمد في المسند (٦٦٩٢) وقال مخرّجوه : صحيح وهذا إسناد حسن ، ورواه أبو داود في الجهاد (٢٧٥١) والطيالسي في المسند (٢٩٩/١) وعبد الرزاق في المصنف كتاب الجهاد (٢٢٦/٥) وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الديات (٤٥٩/٥) وابن خزيمة في صحيحه كتاب الزكاة (٢٦/٤) والبيهقي في الكبرى كتاب قسم الفيء والغنيمة (٣٣٥/٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٩٠) وفي الباب أيضا عن علي ابن أبي طالب .

OBEIKAN.COM

ألسنا «مثل الجسد ؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1]؟

ألسنا «كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضها»[2]؟

أين هذه المعاني؟ نقولها كلاماً ، ولا نراها فعلاً .

نحن نريد من الأمة أن تثبت وجودها ، وتثبت وحدتها ، إخوتنا في موقع إسلام أون لاين طلبوا مني نداء . قدمت لهم نداء ، وطالبت المسلمين أن يبذلوا لهؤلاء ، ويستطيعون أن يبذلوا من زكوات أموالهم ، إخوانكم في فلسطين ، وفي رفح خاصة ؛ يستحقون الزكاة ، هم أبناء سبيل مشردون ، هم فقراء ، ومساكين ، وغارمون ، وهم في سبيل الله ، لأنهم ما فعلوا ذلك ، وما أصابهم ذلك ؛ إلا لأنهم حملوا السلاح دفاعاً عن أنفسهم ، وضعوا رؤوسهم على أكفهم ، قدموا أرواحهم ، وقدموا أبناءهم وشبابهم ؛ فداء لوطنهم ومقدساتهم .

هم في سبيل الله ، هم يستحقون الزكاة من أكثر من وجه ، فأعطهم يا أخي من زكاتك ، أعطهم كل زكاتك ، نصف زكاتك ، ربع زكاتك ، يستحقون أن يعانوا من الزكاة ، ويستحقون أن يعانوا من الصدقات التطوعية الاختيارية ، وكل هذا في ميزانك ، ويضاعفه الله ، الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة .

ويمكن أن تعطيهم من وصايا الأموال ، من وصايا أبيك أو جدك ، الثلث أو ما دون الثلث ، من الوصايا المعروفة في بلاد الخليج ، تستطيع أن تعطيهم

---

(١) يشير فضيلة الشيخ إلى حديث النعمان بن بشير ، وهو متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٦٠١١) ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) وأحمد في المسند (١٨٣٧٣).

(٢) إشارة إلى حديث أبي موسى الأشعري : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه. متفق عليه : رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦) ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) وأحمد في المسند (١٩٦٢٤) والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨) والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠) وهذا لفظ البخاري ، وليس في الحديث كلمة (المرصوص) كما هو مشهور عند الكثيرين .

من هذا، تستطيع أن تعطيهم من ريع الأوقاف، ومن ثمرات الصدقات الجارية، وتستطيع أن تعطيهم من أي مال فيه شبهة، فوائد جاءت لك، أو أي شيء تجد فيه شبهة الحرام، هو حرام عليك، حلال لهم.

تستطيع أيها الأخ المسلم أن تمد إخوانك ولا تتركهم ولا تتخلى عنهم. حرام عليكم أيها المسلون أن تناموا على فراشكم الوثير، وإخوانكم لا يجدون أي شيء يضطجعون عليه.

حرام عليكم أن تستمعوا بما لذ وطاب؛ من الطعام والشراب، وهم لا يجدون القوت، لا يجدون ما يسد الرمق، أو يطفئ الحرق.

حرام عليكم أيها المسلمون، هناك أرقام تليفونات؛ وضعها الإخوة في موقع إسلام أون لاين، تستطيعون أن تتصلوا بهم، الشركات التجارية الكبيرة، والمتوسطة، والصغيرة، وأصحاب المال، وحتى من كان معه القليل، يبارك الله في القليل.

حاولوا أن تتصلوا بهؤلاء، وأن تقيموا بينهم وبينكم جسوراً، قدموا ما تستطيعون لـ «ائتلاف الخير»[1] الذي يجمع ما يجمع من الأموال ومن التبرعات. وأنا لا أحب أن أسميها تبرعات، لأن التبرع فيه معنى الإحسان

---

(١) يتكون ائتلاف الخير من أكثر من مائة من الجمعيات والهيئات الخيرية، التي تتعاون فيما بينها لتحقيق أهداف محدودة ومعلومة، أعلن عنها عند إنشائه وهي:

١- التنسيق بين المؤسسات الخيرية العاملة لفلسطين بما يعود بالخير والمنفعة على الشعب الفلسطيني.

٢- التخفيف من معاناة وآلام المجتمع الفلسطيني بجميع طبقاته، وعلى وجه الخصوص الفقراء والعمال العاطلين عن العمل.

٣- الحفاظ على مقدرات الشعب الفلسطيني وإعادة تأهيل البنية التحتية له.

٤- بناء الإنسان المنتج القادر على إعالة نفسه وذويه.

٥- إعادة رسم أولويات العمل الخيري وصياغة فلسفته بناءً على الواقع. راجع موقع ائتلاف الخير على شبكة الإنترنت العالمية (www.etelaf.org).

والتطوع ، وهذه فريضة علينا ، «ليس منا من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع»[1] ، هذه إغاثة واجبة ، وهذا جزء من الجهاد بالمال ، وهو فريضة على الأمة في هذه الآونة ، ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:٤١) ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (التوبة:١١١) .

يا أيها الإخوة ! ساعدوا إخوانكم ، مدوا إليهم يد العون ، ولن يضيع ما تقدمونه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، في الدنيا يخلف الله عليكم ، ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (سبأ:٣٩) وفي الآخرة يثيبكم الله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (الصف:١٠-١٢) .

أسأل الله عز وجل أن ينصر إخواننا في فلسطين، وينصر إخواننا في العراق، وينصر إخواننا في أفغانستان ، وينصر إخواننا المجاهدين في كل مكان .

* * *

(١) رواه أبو يعلى في المسند (٩٢/٥) والطبراني في الكبير (١٥٤/١٢) والحاكم في مستدركه كتاب البر والصلة (١٨٤/٤) وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب (٢٢٥/٣) وقال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه الطبراني وأبو يعلى ورواته ثقات (٢٤٣/٣) وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : صحيح لغيره (٢٥٦١) .

OBEIKAN.COM

(١٦)

موانع التوبة [١]

الخطبة الأولى :

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

لا زال حديثنا موصولاً عن تزكية الأنفس ، ولا زال حديثنا عن التوبة ، وقد تحدثنا في جملة خطب سابقة عن : التوبة ، وحقيقتها ، وشروطها ، وعن الذنوب التي يتوب الإنسان منها . ونتحدث اليوم عن الموانع من التوبة ، إذا كانت التوبة فريضة على الناس جميعاً ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٣١) ، وكانت الفريضة : فورية لا يجوز تأخيرها ، ولا التسويف فيها ، فلماذا يؤخر الناس التوبة؟

لماذا لا يسارع الإنسان بأن يغتسل من ذنوبه؟ كلما دنسته المعصية سارع بالتطهر منها ، ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣) ، ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (الحديد:٢١) . الإنسان مأمور باستباق الخيرات ، والمسارعة إليها ، وفي مقدمة هذه الخيرات : التوبة من الذنوب والخطايا .

لماذا لا يتوب الإنسان من ذنوبه وخطاياه ، كلما سقط في أوحالها ؟ هناك موانع عدة .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ٩ من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ ، الموافق : ٢٨ مايو ٢٠٠٤م .

OBEIKAN.COM

المانع الأول : الاستهانة بالذنوب :

المانع الأول : هو الاستهانة بالذنوب ، أحياناً لا يعرف الإنسان أنه مذنب ، كثير من الناس يظنون : أن الذنوب هي الزنا ، وشرب الخمر ، وهناك ذنوب لا تحصى يقع الناس فيها كل يوم ، وهم لا يحسون بها ، من كثرة ما تعودها الناس واستمروا فيها استمرءوها ، ذنوب اللسان ، والأذن ، والعين ، والجوارح المختلفة . . . وأخطر منها ذنوب القلوب : الكبر والغرور ، والعجب والرياء ، والحقد والحسد ، والعداوة والبغضاء ، التي سماها النبي ﷺ : « الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ؛ ولكن تحلق الدين »[1] . ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور:١٥) .

هناك من يرتكب ذنوباً كبيرة ؛ ولا يبالي بها ، خصوصاً الذنوب التي تتعلق بالشعوب ، الذين يسيرون في ركاب الحكام الظلمة ، ويوسوسون في صدورهم ، ويزينون لهم ظلم الشعوب ، الذين يزورون الانتخابات ، الذين يعملون هذه الكبائر ؛ لا يحسون بأنهم يرتكبون كبائر ، وخصوصاً الذنوب الممتدة .

هناك ذنوب قاصرة وذنوب ممتدة متعدية ، وهذه هي الخطر ، هناك ذنب يقع في حدود مكان الإنسان ، وذنب يتسع فيملأ الدنيا ، مثل الرجل الذي قال

---

(١) جزء من حديث ونصه : « دب إليكم داء الأمم : الحسد والبغضاء هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين ، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم » رواه أحمد في المسند (١٤١٢) عن الزبير ، وقال مخرّجوه : إسناده ضعيف لانقطاعه ، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٠) ، وقال : هذا حديث قد اختلفوا في روايته عن يحيى بن أبي كثير ، فروى بعضهم عن يحيى بن أبي كثير عن يعيش ابن الوليد عن مولى الزبير عن النبي ﷺ ولم يذكروا فيه عن الزبير ، وهذا حديث صحيح ، ورواه الطيالسي في المسند (٢٧/١) وأبو يعلى في المسند (٣٢/٢) والبيهقي في الكبرى كتاب الشهادات (٢٣٢/١٠) وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار وإسناده جيد (٦٤/٨) وقال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه البزار بإسناد جيد (٣٨٥/٣) وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : حسن لغيره (٢٦٩٥) .

عنه النبي ﷺ « يكذب الكذبة فتشيع في الآفاق[1] » مثل ذنوب الإعلاميين ، والصحفيين ، الذين ينشرون الخبر كاذباً ، فيطير في الآفاق أو يكتب أحدهم مقالة ساقطة فتضلل الملايين ، أو ما نرى من هذه الذنوب .

طوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه :

ذنوب الفنانين وأمثال هؤلاء ، الرقصة الداعرة ، والأغنية الهابطة ، والمسرحية الفاجرة ، وهذه الأشياء ، هذه ذنوب تمتد مكاناً ، وتمتد زماناً ، لأنها تبقى بعد موت أصحابها . السلف يقولون : طوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه ، وويل لمن يموت ؛ وتظل ذنوبه من بعده .

كما أن هناك حسنات وطاعات تبقى بعد الإنسان ، صدقة جارية . . علم ينتفع به . . ولد صالح يدعو له[2] . . تلاميذ علمهم ، وقف وقفه للخير . يضيف عمراً أو أعماراً إلى عمره . هناك أيضاً في جانب السيئات ؛ من تبقى ذنوبه من بعده .

ترى أناساً ألفوا كتباً تضلل عباد الله ، وتدعوهم إلى الشر . ماتوا من سنين ، ولا زالت كتبهم تعمل ، هناك ممثلات ومطربات سكنّ القبور ، ولا يزال الناس

---

(١) جاء ذلك في حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ - يعني - مما يكثر أن يقول لأصحابه :« هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ ». قال : فيقص عليه من شاء الله أن يقص. وإنه قال ذات غداة :« إنه أتاني الليلة آتيان ؛ وإنهما ابتعثاني ، وإنهما قالا لي : انطلق وإني انطلقت معهما .....» وفيه : « ... وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ؛ فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.....» متفق عليه : رواه البخاري في الجنائز (١٣٨٦) ومسلم في الرؤيا (٢٢٧٥) وأحمد في المسند (٢٠٠٩٤) والترمذي في الرؤيا (٢٢٩٤) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب التفسير (١١١٦٢) وابن حبان في الرقائق (٦٥٥٩) والطبراني في الكبير (٢٣٩/٧).

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم في الوصية (١٦٣١) وأحمد في المسند (٨٨٤٤) والترمذي في الأحكام (١٣٧٦) والنسائي في المجتبى كتاب الوصايا (٣٦٥١).

يشاهدون صورهن الكاسية العارية ، وأغانيهن الهابطة ، ورقصاتهن الفاجرة ، هذه ذنوب خطيرة ، إحدى الممثلات هداها الله وتاب عليها ، فدفعت ألوف الجنيهات ، لتشتري أشرطتها السابقة ، حتى لا يراها الناس ، دفعت الكثير ، ومع هذا ظلت أشياء ، وترى نفسها في بعض الأفلام وهي تعرض وهي شبه عارية وهي الآن منقبة ، هكذا الذنوب أيها الإخوة .

لا بد من الإحساس بالذنب :

هناك أناس يعملون ذنوباً ، ولا يهتمون بها ، ولا يحسون بخطورتها .

أول ما يدعو إلى التوبة أن تحس بالذنب ، أن يعكر الذنب عليك صفوك أن ينكد عليك عيشك ، أن تحترق في داخلك ،أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، وتضيق عليك نفسك .أما أن تستهين بالذنب وتقول : هذا ذنب بسيط ، ليت كل ذنب فعلته مثل هذا ، قال بعض السلف : الذنب الذي يغشى ألا يغفر ؛ هو الذي يقول فيه صاحبه : ليت كل ذنب فعلته مثله .

بعض الصالحين من سلف الأمة مرض ، وخشي أن يكون مرض الموت فزاره بعض تلاميذه ، فوجدوه يبكي بكاء مراً ، فقالوا له : يا أبا فلان ما الذي يبكيك؟ ما رأينا عليك في حياتك فريضة تركتها ، ولا حرمة انتهكتها ، ولا حقا ضيعته ؛ بل رأيناك صالحاً مصلحاً تعلم وتدعو إلى الخير ، وكذا وكذا ... فقال لهم: والله ما أبكي على فريضة تركتها ، ولا على حرمة انتهكتها ، ولا على حق ضيعته ، ولكني أبكي لأني أخشى أن أكون قد أتيت ذنباً أحسبه هيناً ، وهو عند الله عظيم ، أحسبه هيناً ، وهو عند الله عظيم[1] .

ذكر القرآن لنا ذلك في معرض حديث الإفك ، حديث الذين افتروا على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق ، أشاعوا عنها السوء وظلوا يلوكون

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين ص ٢١٩ ، عن رجل من الصحابة .

OBEIKAN.COM

هذا الإفك بألسنتهم مستهينين بهذا الأمر ، وأنزل الله في ذلك قرآنا يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١١-١٥) ، ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

وجاء في الحديث :« إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً ، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً »[1] ، كلمة لا يهتم بها ، ولا يعيرها التفاتة ، يهوي بها في جهنم سبعين عاماً ، إنها قد تمس عرض إنسان ، أو كرامة إنسان ، أو تسيء إلى إنسان ، المؤمن يخاف من ذنوبه .

روى البخاري عن ابن مسعود :« المؤمن يرى ذنبه كالجبل يخاف ، أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه ؛ فقال به : هكذا وهكذا »[2] ، ذبابة وقعت على أنفه ، طيرها بيديه ، وانتهى الأمر . أما المؤمن فهو يرى ذنبه

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة ، وقد سبق تخريجه.

(٢) جزء من حديث الحارث بن سويد قال : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثين : أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه ، قال :« إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه ؛ فقال به : هكذا » - قال أبو شهاب بيده فوق أنفه ـ ثم قال : « لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال : أرجع إلى مكاني ، فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده » متفق عليه : رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨) ومسلم في التوبة (٢٧٤٤) والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٧) والنسائي في « السنن الكبرى » كتاب النعوت (٧٦٩٤).

كالجبل يخاف أن يقع عليه ، الصغائر يحسبها كبائر ، والكبائر يزيدها تكبيراً ، حتى قال بعض السلف : كل ما عصي الله به فهو كبيرة[1] ، لا تنظر إلى صغر المعصية ، ولكن انظر إلى كبرياء من عصيته ، ما دامت في حق الله ؛ فلا يعتبر شيئاً صغيراً ، هكذا بلغت حساسيتهم ويقظة ضمائرهم .

احذر أن تستهين بالمعصية ، المعاصي كلها خطر ، حتى إن كانت صغيرة ، فالصغيرة تجر إلى الكبيرة ، الألف تجر إلى الياء :

. . . . . **ومعظم النار من مستصغر الشرر**

الاستهانة بالذنوب هي الخطر الأول الذي يمنع من التوبة ، ويجعل الإنسان يؤخر التوبة . لا تستهن بالمعصية أبداً ، شأن المؤمن غير شأن المنافق ، المؤمن يعمل الحسنات ويقول : أخشى أن لا تقبل مني ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ (المائدة:٢٧) ، وما يدريني أنني من المتقين؟ أما المنافق فيرتكب السيئات ، ويقول : أطمع أن يغفر لي ! كما قال الله عن اليهود : ﴿ **يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا** ﴾ (الأعراف:١٦٩) ، يأكلون الدنيا بحلالها وحرامها ، ويقولون : سيغفر الله لنا . الاستهانة بالذنوب : هي المانع الأول .

المانع الثاني : الاتكال على عفو الله عز وجل :

أيها الإخوة : المانع الثاني هو : الاتكال على عفو الله عز وجل ، على سعة المغفرة والرحمة ، ولا شك أن الله غفور رحيم ، وأن رحمته وسعت كل شيء ، ولكن هذه الرحمة التي قال الله تعالى فيها : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ (الأعراف:١٥٦) من يستحقها؟ يقول الله تعالى في نفس السياق : ﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأعراف:١٥٦) وفي سياق

---

(١) ذكره البيهقي في الشعب عن عبيدة السلماني (١/ ٢٧٣) .

آخر ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(الأعراف:٥٦) نعم الله غفور رحيم ؛ بل هو ﴿ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأعراف:١٥١) (يوسف:٦٤) (يوسف:٩٢) (الأنبياء:٨٣) و ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(المؤمنون:١٠٩) (المؤمنون:١١٨)، ولكن لا يوزع رحمته على من يستحق ، ومن لا يستحق ، ومن يتحداه ومن يرفض أحكامه ، ومن لا يبالي بأمره ونهيه . لا .

إياك والاتكال على الأماني :

النبي ﷺ يقول « الكيس ـ أي الإنسان العاقل الحكيم الفطن ـ من دان نفسه ـ من حاسب نفسه ـ وعمل لما بعد الموت ، والعاجز ـ الأحمق الغبي ـ من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني »[1] ، عاش في الأماني والأحلام . كما قيل لابن سيرين ؛ إذ جاءه رجل ، وقال : رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء ، وأطير بغير جناح . فقال له : أنت رجل كثير الأمانيّ والأحلام ، عايش في الأماني والأوهام ، تتبع نفسك هواها ، تتبع الشهوات ، ترتكب الموبقات ، وتتمنى على الله الأماني ، أن يعطيك المغفرة مجاناً ، هيهات هيهات .

ما بال قلبك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنس؟

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس!

السفينة لا تجري على الأرض اليابسة ، إنما تجري في الماء ، وأنت تريد أن تجري سفينتك على اليابس ، هيهات هيهات ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:٢١٨) لم يجعل لهم الرجاء إلا بعد الإيمان والهجرة

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧١٢٣) عن شداد بن أوس ، وقال مخرّجوه : إسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم ، وباقي رجال الإسناد ثقات ، ورواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠) والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩) وقال : حديث حسن ، والحاكم في مستدركه كتاب التوبة (٤/٢٨٠) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

والجهاد ، فهؤلاء هم الذين يرجون رحمة الله ، وفي بعض الأحاديث الإلهية : « ما أقل حياء من يطلب جنتي بغير عمل ، كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي » .

تريد أن تأخذ جنة عرضها السماوات والأرض بدون أن تدفع ثمنها والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (التوبة:١١١) ادفع الثمن تتسلم الصفقة ، الجنة لا تعطى مجاناً بغير عمل ، ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب .

جلس جماعة من المسلمين واليهود والنصارى ، وكل منهم زعم أنه أحق بالجنة من غيره ، فنزل قوله تعالى ـ قولاً فصلاً وحكماً عدلاً ، يخاطب المسلمين[1] : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء:١٢٣،١٢٤).

هذا هو الإسلام ؛ أن تبذر وتزرع وتغرس لتحصد ، من جد وجد ، ومن زرع حصد ، ومن توانى لم يزرع ولم يحصد ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (النساء:١٢٣) حكى القرآن عن اليهود والنصارى قال : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ (البقرة:١١١) ، أماني فارغة لا تقوم على أساس ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة:١١١،١١٢). هذه الجنة لمن؟ لمن ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾، هذا الذي له أجره عند ربه ، وهو الذي يستحق الجنة يدخلها ولا خوف عليه

---

(١) قال القرطبي : قال قتادة والسدي : تفاخر المؤمنون وأهل الكتاب ؛ فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونحن أحق بالله منكم. وقال المؤمنون : نبينا خاتم الأنبياء ، وكتابنا يقضي على سائر الكتب ، فنزلت الآية. انظر : تفسير القرطبي (٣٧٧/٥).

ولا حزن ، الاتكال على عفو الله دون عمل هذا هو الغرور ، وهذه هي الأماني الباطلة ، التي لا تحقق رجاء .

يقول ابن عطاء الله في حكمه : الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنيّة . أي أمنية من الأماني التي لا تحقق لصاحبها شيئاً فهذا مانع آخر من موانع التوبة .

المانع الثالث : طول الأمل :

أيها الإخوة : المانع الثالث هو : طول الأمل . ما معنى طول الأمل؟

الأمل مطلوب للإنسان ؛ لولا الأمل ما بنى بان بنياناً ، ولا غرس غارس غرسا . ولكن المشكلة طول الأمل ، يعني أن يطول أمل الإنسان ، بحيث يستبعد الموت ، كأن الموت غائب عنه ، فهو دائماً يسوّف . يقع في المعصية ولا يتوب ، سيتوب بعد ذلك ، وإن كان ابن العشرين يقول : حينما أبلغ الأربعين أتوب ، ويبلغ الأربعين ، ومع هذا لا يتوب ، يقول : حينما أبلغ الستين أتوب ، ويبلغ الستين فلا يتوب . يقول : حينما أبلغ الثمانين ، هل أعطاك « عزرائيل[1] » موثقاً أو صكاً بأنه لن يأتيك بغتة؟ الموت يأتي بغتة .

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ ﴾ (النحل:٧٧).

الموت يأتي فجأة :

ولذلك أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نعيش في الدنيا ؛ بروح الغرباء المسافرين[2] ، أنت في هذه الدنيا مسافر ، ولكنك لا تعلم متى يأتي القطار ، الموعد ليس عندك ، ربما تفاجأ به ، فلا بد أن تكون متهيئاً بزادك ، وحقيبة سفرك ، في أي وقت .

---

(١) لم يرد لملك الموت أسماء ، كما شاع على ألسنة الكثيرين ، وقد نوّه الشيخ بذلك مرارا .

(٢) إشارة إلى حديث : « كن في الدنيا كأنك غريب ..... » رواه البخاري عن ابن عمر ، وقد سبق تخريجه .

تـــزود للـــذي لا بـــد منـــه فـــإن المـــوت ميقـــات العبـــاد

أترضى أن تكـــون رفيـــق قـــوم لهـــم زاد وأنـــت بغـــير زاد

لا سيما أن الآخرة غير الدنيا ؛ في الدنيا ربما لم يكن معك زاد ، ولكن رفقاءك يعطونك من زادهم ، أو أزوادهم . أما في الآخرة فلا يعطيك أحد من زاده مثقال حبة خردل ، ولو كان أمك أو أباك ، أو أختك أو أخاك ، أو ابنك أو حبيبك . لا يستطيع أحد أن يعطيك شيئا ، يوم القيامة يوم الفردية والأنانية المطلقة ، كل إنسان يقول : نفسي نفسي ، يوم ﴿ لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (لقمان:٣٣) .

عصر موت السرعة :

لذلك لا بد أن تتزود لهذا اليوم الذي قد يفاجئك . من قال : إن الشباب لا يموت؟ هل لا يموت إلا الشيوخ؟ كم من شباب رأيناهم ماتوا وهم في عمر الزهور ، وفي مقتبل الشباب . من قال : إن الصحيح السليم لا يموت ، كم رأينا أناساً ماتوا وهم في عز صحتهم! أما سمعتم بموت البغتة ؛ موت الفجأة ، الذي رُوي أن النبي ﷺ استعاذ منه[1] ، أما سمعتم من يموت بالسكتة القلبية ، بالذبحة الصدرية ، بالجلطة المخية؟!

أما سمعتم من يموت في الحوادث ، هذا يموت في سيارة ، وهذا يموت في قطار ، وهذا يموت في طائرة . أما سمعتم بالأحداث التي كثرت في عصرنا ، لأنها ثمن الحضارة الآلية؟

---

(١) وردت أحاديث في تعوذ النبي ﷺ من موت الفجأة ، لكن لم يصح منها شيء ، وأصح ما جاء في موت الفجأة : حديث عبيد بن خالد ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ قال : موت الفجأة أخذة أسف ، وحدث به مرة عن النبي ﷺ. رواه احمد في المسند (١٥٤٩٧) وقال مخرّجوه : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير تميم بن سلمة ، ورواه أبو داود في الجنائز (٣١١٠) وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الجنائز (٣/ ٤٨) والبيهقي في الكبرى كتاب الجنائز (٣٧٨/٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٦٧).

من قال: إن الموت يستأذن قبل أن يأتي؟ إنك معرض للموت في أي لحظة، وليست المسألة هينة ، طيب وماذا يحصل عندما يأتي الموت؟ هي مشكلة ، إنها قضية المصير أخطر قضية في الدنيا هي هذه القضية أأنت من أهل الجنة أم من أهل النار أأنت مرضي عنك من الله أم مسخوط عليه؟ من أي أصحاب الدارين أنت؟ ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾(الانفطار:١٣،١٤).

ولذلك لا يجوز أن تؤخر ، وأن تطيل أملك إلى حد يجعلك تتمرغ في المعاصي يوماً بعد يوم ، ولا تتوب منها ، السلف كانوا يقولون : (سوف) من جنود إبليس ، كلمة (سوف) ، سوف أتوب . . سوف أعمل صالحاً فيما بعد ، هذه من جنود إبليس ، يستخدمها إبليس لإغراء الناس بالاستمرار في عمل السيئات ، وتأخير الطاعات . ويقال : أكثر أهل النار المسوِّفون ، الذين يقولون : سوف نفعل فيما بعد ، ولا يأتي ما بعد هذا .

الدنيا مزرعة الآخرة :

يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعدّ نفسك من أهل القبور »[1] ، هكذا ينبغي أن يعيش الإنسان المؤمن ، الدنيا دار ممر لا دار مقر ، هي قنطرة إلى الآخرة . ليس معنى هذا أن نهمل أمر الدنيا . ألاّ نعمر الدنيا ، كلا إن الله خلقنا لنعمر الأرض ونصلها ولا نفسدها ، ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ (الأعراف:٥٦) ، ولكن لا نعيش فيها بشعور المخلدين .

لا بد أن نشعر أننا في هذه الدنيا لمرحلة معينة ، نزرع في الدنيا لنحصد في الآخرة ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، والدنيا مهمة جداً ، وأيامها غالية جداً ، لأنها الفرصة الوحيدة لتبني فيها مستقبلك ، وتقرر فيها مصيرك ، ولذلك كانت في منتهى النفاسة ، ليس لك عمران ، بحيث إذا ضاع منك أحدهما عوضته بالآخر ،

---

(١) رواه البخاري عن ابن عمر ، وقد سبق تخريجه .

OBEIKAN.COM

هو عمر واحد ، وإذا جاءك الموت انتهى كل شيء . ولا يعرف هذه الحقيقة إلا الإنسان حينما يحتضر ، ساعة الاحتضار ؛ يعرف قيمة هذه الأيام التي قضاها ويقول :﴿ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (المنافقون:١٠) أعطني أسبوع يا رب : يوم ، ساعة ، نصف ساعة ، دقائق أصلي فيها ركعتين ، هيهات هيهات ، ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون:١١) ، ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ (المنافقون:١١).

إياك والتسويف يا أخي . التسويف خطر على الإنسان ، لأن المعاصي إذا تراكمت ؛ اسود بها القلب . كلما أذنب الإنسان ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب منها صقلت ومُحِيَت ، فإذا لم يَتُبْ ، وعمل ذنباً آخر نكتت نكتة أخرى بجانب النكتة الأولى ، ثم ثالثة ، ثم رابعة ، ثم خامسة ، حتى يسود قلبه كله ، والعياذ بالله ، وهذا هو الذي قال الله فيه : ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين:١٤)[1]. هنا يشعر الإنسان بالرين على قلبه ، بالختم على قلبه ، بالطبع على سمعه وبصره ، فلا يكاد يجد نافذة يصل إليها شعاع من ضوء يبعثه ليتوب .

هذا هو الخطر ، فحاول أن تتفادى هذا الخطر ، وأن تبادر بالتوبة ، بادر بالتوبة ولا تؤخر ، وانظر إلى من ودعته من إخوانك وأحبابك ، وأقربائك وأصدقائك ومعارفك .

كم شيّعت من قريب؟ وكم ودعت من حبيب؟ وكم عَزَّيت في صديق؟ وكم دفنت من رفيق؟ انظر إلى القائمة ستجدها قائمة طويلة هائلة ، من أول حياتك إلى الآن ، الناس الذين ماتوا ، أنت مثلهم ، أنت واحد منهم ، الدور عليك ، ولا تدري متى يأتي هذا الدور؟!

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ، وقد سبق تخريجه .

المانع الرابع : اليأس من روح الله :

وهناك مانع آخر أيها الإخوة ، هو أن تستحكم الذنوب ، وتهيمن على الإنسان ؛ فيقول : ليس لي من توبة ، ييأس من رَوح الله ، ويقنط من رحمة الله ، ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (الحجر:٥٦)، ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧) ، المسلم الحقيقي يجب أن يكون بين الرجاء في رحمة الله والخوف من عذاب الله. والخطر هنا أن ييأس من رَوْح الله، أو يأمن من مكر الله ، أن يسرف في الرجاء ، في العفو والرحمة ، حتى يأمن مكر الله ، أو يسرف في الخوف والخشية ؛ حتى ييأس من روح الله . لا . كن راجياً في رحمته ، خائفاً من عذابه ، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ (الزمر:٩) ، الحذر والرجاء .

هذا ينبغي للمسلم . ومهما بلغت ذنوبك ، ومهما اتسعت ؛ فإن عفو الله أوسع ، وإن مغفرة الله أعظم ، وقد قال عز وجل : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر:٥٣) وانظر إلى هذا التعبير ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ ﴾ هم أسرفوا على أنفسهم بمعصية الله ، بظلم أنفسهم ، ومع هذا لم يحرمهم شرف الانتساب إلى عبوديته ، يناديهم بهذا اللفظ الذي يؤنسهم ويقربهم ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ .

هم مهما عملوا هم عباده ، هو الذي خلقهم ، وهو الذي رزقهم ، وهو الذي أنعم عليهم بنعمه ، أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، فهو يناديهم أن يرجعوا إلى بابه ، ويقفوا على أعتابه ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، أبو نواس الشاعر الماجن المعروف ، صاحب الخمريات ، والقصائد الخمرية ، في مدح الخمر إذ قال :

دع عنك لومي فإن اللوم إغـــراء ... وداوني بالتي كانت هـــي الـــداء

في أواخر حياته روي عنه شعر جميل يقول :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم!

إن كان لا يدعوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستعيذ المجرم؟

ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلم!

عفو الله ومغفرته ورحمته يجب أن تكون هي رجاء كل مسلم ، لا ييأس من روح الله أبداً ، هكذا علمنا الإسلام ، ليس هناك كبيرة من الكبائر ولا ذنب من الذنوب يستعصي على عفو الله ؛ إذا صدقت النية ، وصحت العزيمة ، في الرجعة إلى الله .

روى البخاري ومسلم قصة عن النبي ﷺ قصة صحيحة ليست « حدوتة » رجلاً ممن كان قبلنا قتل تسعة وتسعين نفساً[1] ، ثم قال : دلوني على أعلم أهل الأرض لأسأله ، صحا ضميره ، وكل إنسان مهما بلغ من المعصية لا بد أن يأتي يوم يستيقظ فيه هذا الشيء الذي في داخله ، هذه المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله ، ألا وهي القلب[2] ، صحا قلبه واستيقظ ضميره ، فأراد أن يتوب ، قال : دلوني على أعلم أهل الأرض لأسأله . فدلوه على رجل عابد ، من أعبد أهل الأرض ، فذهب إليه وقال له : يا شيخ قد قتلت تسعة وتسعين نفساً ، فهل لي من توبة؟ قال : أعوذ بالله! لا توبة لك ، قال : إذن أكمل بك المئة ، ما دام الإنسان يئس فيعمل ما يشاء ، إذا كانت جهنم هي جهنم ، (خسرانة خسرانة) ، قتل الرجل ، وأكمل به المائة ، ومع هذا ظل هذا الشيء

---

(١) متفق عليه عن أبي سعيد الخدري ، وقد سبق تخريجه.

(٢) يشير الشيخ إلى حديث النعمان بن بشير ؛ والذي فيه : « . . . . ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب رواه البخاري في الإيمان (٥٢) ومسلم في المساقاة (١٥٩٩) عن النعَمان بن بشير .

الذي بين حناياه يقلقه ويؤرقه ، ويقول : هل معقول لا توبة لي؟ يا قوم دلوني على أعلم أهل الأرض؟ فدلوه هذه المرة على رجل عالم ، فذهب إليه وقال له : أيها الشيخ قتلت تسعة وتسعين هل لي من توبة ؟ قال ومن يحول بينك وبين التوبة ، نعم لك توبة ، انشرح صدر الرجل ، وابتسم ثغره ، قال : ولكني أنصحك أن تدع القرية التي أنت فيها ، فأهلها أهل سوء ، وأن تذهب إلى القرية الفلانية ، فأهلها أهل خير وصلاح ، وأن تعيش هناك ، أخذ الرجل كلام هذا العالم ، وذهب وحمل متاعه ، ليصل إلى القرية الصالحة ، وترك القرية الظالمة العاصية ، وفي أثناء الطريق وافاه الأجل ، جاءه الموت ، وجاءت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب تختصم فيه ، من الذي يقبض روحه؟ ملائكة العذاب تقول : هذا الرجل لم يعمل خيراً قط ، قتل مئة نفس ، ولا زال في طريقه إلى القرية الصالحة ، لم يذهب إليها . وملائكة الرحمة تقول : لا . هذا الرجل خرج بنية التوبة ، يحمل قلباً جديداً ، ونية جديدة ، وعزماً جديدا ، و« الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى »[1] . نحن أحق بأن نقبض روحه منكم ، وأرسل الله ملكاً يحكم بين الفريقين المختصمين ، فقال : نقيس المسافة التي بين القرية التي خرج منها ، والقرية التي ذهب إليها ، إلى أيهما كان أقرب يحسب عليه ، فحسبوا المسافتين ، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بذراع ، فقبضت روحه ملائكة الرحمة .

أي أن الله تعالى قَبِلَه ؛ حتى ولو قتل مئة نفس . باب الله مفتوح ، ليس عليه حاجب ولا بواب ، « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها[2] ». الله يناديكم توبوا

---

(١) متفق عليه عن عمر بن الخطاب ، وقد سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩) وأحمد في المسند (١٩٥٢٩) عن أبي موسى .

ارجعوا إلى الله ، «يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»[1] .

أسأل الله تعالى أن يغفر لنا خطايانا ، وإسرافنا في أمرنا ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان ؛ أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

نرحب بالحوار بين الإسلام والمسيحية بشروط[2] :

عقدت بالأمس ندوة للحوار الإسلامي المسيحي في هذه المدينة الطيبة إن شاء الله مدينة الدوحة ، ونحن المسلمين نرحب بالحوار بين الإسلام والمسيحية ، بل نرحب بالحوار بين الأديان جميعاً إلا الذين ظلموا . الحوار نحن مأمورون

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٤٦٧٤) وأحمد في المسند (٢١٤٢٠) عن أبي ذر.

(٢) ينطلق فضيلة الشيخ في حواراته مع النصارى بأسس واضحة ، ومن أهم هذه الأسس :

١- أن يكون الحوار بالحسنى.

٢- التركيز على القواسم المشتركة بيننا وبينهم كالإيمان بالغيب ، ووجود الله ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

٣- ألا يسقط الحوار فريضة الدعوة التي كلفنا الله بها ، والتأكيد على عالمية هذه الدعوة الخاتمة .

٤- الوقوف معاً لمواجهة أعداء الإيمان الديني ، ودعاة الإلحاد في العقيدة ، والإباحية في السلوك كما فعل الأزهر ورابطة العلم الإسلامي والفاتيكان في وقوفهم صفاً واحداً في مواجهة مؤتمر السكان في القاهرة عام ١٩٩٤م ، ومؤتمر المرأة في بكين عام ١٩٩٥م. انظر : ثقافتنا بين الانفتاح الانغلاق ، ص٥٢ ، وفتاوى معاصرة ، ج٣ ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٣ باختصار .

OBEIKAN.COM

به ، لأنه جزء من منهج الدعوة التي حددها القرآن ، ورسم معالمها في قوله تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥) ، وهذا خطاب للرسول ﷺ ، وخطاب للأمة جميعاً .

الجدال هو الحوار :

الدعوة إلى الله مع الموافقين بأسلوبين : أسلوب الحكمة التي تخاطب العقول فتقنعها ، وأسلوب الموعظة الحسنة التي تخاطب القلوب فتحركها ، تحرك المشاعر ، أما المخالفون فيجادلون بالتي هي أحسن ، ولذلك الجدال هو الحوار ، بعض الناس قالوا : لا . الجدال غير الحوار . نقول : لا . الجدال هو الحوار ، الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة:١) .

فالجدال هو الحوار ، فنحن مأمورون أمراً بأن نجادل المخالفين بالتي هي أحسن ، بأحسن الطرق ، وأخف الأساليب وأرقها ، لنقربهم منا ، ونقترب منهم . هكذا يأمر الإسلام ، وخصوصاً مع أهل الكتاب ، يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت:٤٦) ، يعني هنا لم يكتف بالأمر بالجدال ؛ بل نهى عن الجدال إلا بالتي هي أحسن ، لا يجوز أن تجادلوهم بأي طريقة ، إلا بالتي هي أحسن ، أحسن الطرق .

ولذلك يقول : (يا أهل الكتاب) ، لا يجوز أن تقول يا أيها الكفار ، لا ، هذا ليس مشروعاً ، لم يخاطب القرآن الناس بـ (أيها الكفار) إلا في آيتين ؛ آية يوم القيامة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التحريم:٧) والآية في السورة المعروفة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون:١) إلى آخر السورة ، لأنه كان يريد أن يقطع المفاوضات الجارية في أمر لا معنى له ، فخاطبهم بهذا وهم الوثنيون ، ومع هذا فقد قال في نهاية السورة ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (الكافرون:٦) .

الطريق مغلق مع الذين ظلموا :

أما الذين ظلموا منهم فلا حوار معهم ، الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ (العنكبوت:٤٦) فلا جدال بينكم وبينهم .

ولهذا حينما سألني رئيس الوزراء على الغداء أمس : هل توافق على أن يدخل اليهود في هذا الحوار؟ قلت : لا . لا أوافق ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ (العنكبوت:٤٦)، واليهود ظلمونا ظلماً كبيراً ؛ بل ظلماً أكبر ، شردوا أهلنا ، واغتصبوا أرضنا ، وسفكوا دماء إخواننا ، ولا زالوا يسفكون الدماء . فلا لقاء بيننا وبينهم . كيف ألقاهم؟ قتلوا إخواننا في رفح ، وهدموا منازلهم ، ويأتون اليوم أصافحهم؟

لا بد أن تحل هذه المشكلة بيننا وبينهم ، أنا لا يمكن أن أشارك ، ولا أوافق على مسلم ملتزم أن يشارك في حوار فيه هؤلاء اليهود ، حتى تنحل مشكلتنا معهم . صحيح هناك يهود قليلون لا يوافقون ، ولكن هؤلاء قليلون ، وعلماء الإسلام يقولون : للأكثر حكم الكل ، والنادر لا حكم له . نحن نحاكمهم على أساس الأغلبية . أعرف أن هناك بعض اليهود ـ حتى أخونا أحمد منصور عمل معهم بعض اللقاءات[1] ـ الذين يرفضون قيام إسرائيل ، ويرون أن هذا ضد

---

(١) هناك جماعة تطلق على نفسها : (ناطوري كارتا) والمعنى الحرفي لإسمهم هو : حراس المدينة ، وهي : جماعة دينية يهودية تم تأسيسها في سنة ١٩٣٥ ، تعارض هذه المجموعة الصهيونية ، وتنادي بخلع أو إنهاء سلمي للكيان الإسرائيلي ، حيث إنها تقتنع بأن اليهود ممنوعون من الحصول على دولة خاصة بهم حتى مجيء المسيح. يتمركز أتباع هذه الجماعة في القدس ولندن ونيويورك. يركز أتباع هذا المذهب على الأدب الحاخامي والذي ينص على أنه وبسبب خطايا اليهود فإنه تم طردهم من أرض إسرائيل ، كما أنهم يعتبرون ـ بناءً على التلمود البابلي ـ بأن أي محاول بالقوة لاسترداد أرض إسرائيل هو مخالفة للإرادة الإلهية. يعتقدون بأن إعادة دولة إسرائيل سيتم فقط عندما يأتي المسيح. وقد استضافهم الأستاذ أحمد منصور في برنامجه بلا حدود أكثر من مرة ، كان آخرها في حلقة ٢٠٠٨/٤/٣٠م ، وقد قام الضيف ومعه عدد من أتباع حركة(ناطوري كارتا) بزيارة الشيخ في منزله ، ودار حوار طويل مع فضيلة الشيخ. انظر : موقع الشيخ (qaradawi.net).

حكم الله ، وضد قدر الله ، إلى آخره . . . وهؤلاء نرحب بلقائهم ، وحوارهم ، والتفاهم معهم ، لكن هؤلاء نقطة في بحر ، اليهود عامة في كل أنحاء العالم مع إسرائيل ، مؤيدون لإسرائيل ، هذا معروف . ولذلك لا نقبل اللقاء معهم ؛ حتى تنحل مشكلتنا مع الكيان الصهيوني ، ومن يؤيده من الغربيين والمسيحيين أنفسهم .

نحن نعترف بالمسيحية لكنهم لا يعترفون بالإسلام :

ثم هناك مسألة أثرتها بالأمس ؛ وهي أننا نحن المسلمين نعترف بالمسيحية والمسيحيين ، ونعترف أن ﴿ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ (المائدة:٨٢) كما هو شأن القرآن ، وأجاز لنا القرآن أن نؤاكلهم ، وأن نصاهرهم ، واعتبر الإنجيل كتاباً من عند الله ، فيه هدى ونور ، والمسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأمه صديقة ، مريم ابنة عمران ، وهناك سورة في القرآن اسمها «سورة مريم» ، وسورة أخرى اسمها «سورة آل عمران» وعمران هذا هو جد المسيح عليه السلام ، فاهتم القرآن بهذا فنحن ليس هناك مشكلة معهم ، المشكلة مشكلتهم معنا ؛ أنهم لا يعترفون بنا ، هذا المليار والثلث من البشر أتباع نبيّ كذّاب ، وأتباع كتاب مختلق هو القرآن .

هذه مشكلة لا بد أن يبحثوا فيها ، لا بد أن يبحثوا : ما هي العلاقة بين هذا المجموع البشري الهائل؟ هذه القضية أثرناها .

لا بد أن يكون الحوار حوار الند للند :

ثم أريد أن أقول بصراحة ـ وأنا دائماً أصارحكم على هذا المنبر ، وهذا من فضل الله عليّ ، ومن فضل الله على هذا البلد ؛ أن أحداً لا يقول لي : لا تقل : كذا . وقل : كذا . لا . نحن نريد أن نتحاور مع المسيحيين حوار الند للند ، أما أن يفرضوا علينا حوارهم ، هم الذين يختارون الموضوع ، وهم الذين يفسرونه كما يحلو لهم!

من حقنا أن نختار الموضوع :

قالوا : موضوع الحوار هو الحرية الدينية ، طيب قبلنا الحرية الدينية ، ولكنهم يفسرونها كما يريدون ، الحرية عندهم حرية الكفر بالإسلام ، حرية الردة[1] ، أن يكون من حق الناس أن يرتدوا ، وأن نحمي المرتدين ، نحميهم ليدعوا إلى الفتنة في المجتمع ، وأن يدمروا المجتمع ، كل مجتمع له أسس يبنى عليها ، وله خصائص تحميه ، كل مجتمع يحمي نظامه ، النظام الجمهوري يحمي الجمهورية ، والنظام الملكي يحمي الملكية ، والنظام الاشتراكي يحمي الاشتراكية ، ولا يسمحون لأحد أن يهدد المجتمع في أسس نظامه .

نحن مجتمع أساسه الإسلام ، فلا نسمح لمن يهدد الوجود الإسلامي ، العقيدة الإسلامية ، إذا كان الإنسان يكفر في نفسه ؛ فليكفر هو حر . فهو مصيره إلى جهنم كما يقول القرآن ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٢١٧) ، ولكن إذا بدأ يدعو إلى الردة ، يدعو الآخرين ، يريد أن يكون مجموعة لتهدد نظام المجتمع ، وأسسه العقائدية . لا . هناك خطر على المجتمع والدولة ، ولذلك حينما كانت الردة جماعية في عهد الصحابة حاربهم أبو بكر ﷺ ، ومن معه من الصحابة وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٥٤) .

هناك فئة ربنا ادخرها لتقاوم الردة والمرتدين . يقولون : القرآن ليس فيه حكم الردة . بل فيه ؛ حتى قال بعض السلف : إن قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟

---

(١) تحدث فضيلة الشيخ عن قضية (الردة) في عدد من كتبه ومحاضراته ودروسه ، ومن أهمها : رسالة (جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة) من رسائل ترشيد الصحوة ـ مكتبة وهبة .

﴿ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ (المائدة:٣٣) قالوا : هذه نزلت في المرتدين[١] ، فلا بد أن نبحث معاً الموضوع الذي نختاره ونحدد مفهومه .

الحرية الدينية لها مفهوم كبير ، حاولت أن أشرحه[٢] بالأمس في كلمتي ، وشرحته بإيجاز في ورقتي التي قدمتها .

ثم لا بد أن نشترك في اختيار الأشخاص الذين يمثلون المسلمين ، من يختارهم؟

أفاجأ بأناس يمثلون المسلمين ؛ لا يعرفهم أحد ، فهذا أمر غريب . بل هناك من يعرفهم الكثيرون بالانحراف ضد الإسلام ، والعمل ضد الإسلام ، ومع هذا هم محسوبون ممن يمثلون الجانب الإسلامي .

هذه أمور لا بد ـ إذا كان لهذه الندوة أن تجتمع مرة أخرى ـ فلا بد أن تجتمع على هذه الأسس ، لا بد أن يشترك المسلمون مع إخواننا في الفاتيكان ، في اختيار الموضوع ، وتحديد مفهوم الموضوع ، واختيار الذين يمثلون الجانب الإسلامي ، كما يختارون هم الذين يمثلون الجانب النصراني . هذه هي العدالة ، وهذه هي المساواة بين الطرفين . أما أن يفرض علينا من يمثلنا ، وأن تدار الندوة بلغة غير لغتنا ، وفي بلد عربي إسلامي ! ! فلا .

هذه كلها أمور ينبغي النظر فيها ؛ حتى يكون الحوار مثمراً ومجدياً ، وحتى يخرج الناس منه بنتائج . أما أن نستمع وننصرف ، وكل إنسان يضمر ما في نفسه ، وباق على ما هو عليه ، فلا قيمة لهذا الحوار ، ولا معنى له ولا نتيجة منه ، إنما هي مضيعة أوقات ، ومسألة مظهرية ، لا تؤتي أكلا ، ولا تحقق هدفا .

* * *

---

(١) جاء ذلك عن ابن عمر ، ونقله ابن المنذر عن الحسن وعطاء. انظر : تلخيص الحبير (٤/ ٧٢).

(٢) طبع لفضيلة الشيخ كتاب يعالج هذه القضية ، ضمن سلسلة (إسلاميات عامة) تحت عنوان (الحرية الدينية والتعددية في نظر الإسلام) نشر المكتب الإسلامي بيروت .

OBEIKAN.COM